# نفوذ القُواد العُمَّرَة والحُمَيضَات لدى أشراف مكة المكرمة (٧٣٧- ٨٧٣هـ/ ١٣٣٦- ١٤٦٨م)

**د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس**
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

تختص هذه الدراسة بالبحث في فئة كان لها دور كبير في الحياة العامة في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة، وهي فئة القواد، وعلى وجه الخصوص العُمَّرة والحُميضَات.

يتطلب الحديث في هذا الموضوع إعطاء تعريف لمدلول قواد؛ فالقواد لغةً مفردها قائد، ويراد به اصطلاحاً المتقدم[١]. أما اصطلاحًا فهم "أكابر أتباع أشراف مكة"، "وهم بمثابة الأمراء للملوك"[٢].

ويمثل هؤلاء القواد طبقة مهمة من طبقات المجتمع المكي، فهم يأتون في الأهمية بعد طبقة الأشراف[٣]. غير أنهم في الواقع لا يملكون

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، د. ط، دار لسان العرب، بيروت، د. ت، ج٣، ص١٨٤؛ الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، د. ط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ج٩، ص٨٠- ٨١.

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د. ط، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٤، ص٢٧٦.

(٣) العبيكان، طرفة: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ، ص٢٣٩-٢٤٢.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٣٦هـ، السنة الحادية والأربعون

جيشاً خاصاً بهم، بل هم جزء من التركيبة السياسية العسكرية للسلطة في مكة المكرمة.

وقد كان لهم قوة ونفوذ كبيران بحيث يستطيعون التأثير على الأوضاع السياسية في مكة المكرمة، وكان الأشراف بأمس الحاجة لدعم هؤلاء القواد ومساندتهم سياسياً وعسكرياً.

وفي هذه الدراسة سأركز على فئتين من هؤلاء القواد، وهم من عرفوا بالقواد العُمَّرة، والقواد الحُمَيضات، ومدى نفوذهم وتأثيرهم على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في مكة المكرمة خلال الفترة الممتدة ما بين ٧٣٧- ٨٧٣هـ/ ١٣٣٦- ١٤٦٨م. غير أنه لابد أولاً من إعطاء فكرة عن أصل تسمية كلتا هاتين الفئتين.

ينتسب القواد العمرة إلى جدهم عمر بن مسعود المكي، وكان مسعود مولى لأبي سعد الحسن بن علي بن قتادة أمير مكة المكرمة (٦٤٧- ٦٥١هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٤م)(٤).

أما القواد الحميضات فهم نسبة بالولاء إلى شريف مكة المكرمة حميضة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة (٧٠١-٧٢٠هـ/ ١٣٠١-١٣٢٠م)(٥).

وقبل أن ندخل في سياق الحديث عن موضوع الدراسة يحسن بنا أن نعطي عرضاً سريعاً عن الأحوال العامة في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة.

## الأحوال السياسية:

في أواخر القرن السادس الهجري، وبالتحديد في سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) سيطر الشريف قتادة بن إدريس الحسني القادم من ينبع

---

(٤) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٢، ص٧٢؛ وانظر في ترجمة حسن بن علي بن قتادة. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٦٠-١٦٣.

(٥) عن سيرة الشريف حميضة انظر الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٢٣٢- ٢٤٩.

على مكة المكرمة، وأسس بذلك حكم أسرة بني قتادة[٦]. وتعد فترة حكم الشريف أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة أطول فترة في حكم هذه الأسرة حيث امتدت خمسين عامًا تقريبًا (٦٥٢-٧٠١هـ/١٢٥٤-١٣٠١م) واستطاع بفضل قوة شخصيته وحنكته السياسية أن يحافظ على استقلال مكة المكرمة في وجه مطامع الدولتين المملوكية والرسولية[٧].

ومن أبرز أمراء مكة المكرمة من أشرافها بعد وفاة أبي نمي، الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمي (٧٤٤- ٧٧٤هـ/ ١٣٤٣- ١٣٧٣م)، وابناه أحمد (٧٧٤-٧٨٨هـ/ ١٣٧٣-١٣٨٦م)، وحسن (٧٩٨- ٨٢٩هـ/ ١٣٩٥ - ١٤٢٦م). والأخير تولى إمارة مكة المكرمة أكثر من مرة، وابنه بركات (٨٢٩- ٨٥٩هـ/ ١٤٢٦- ١٤٥٥م)[٨]. ثم حفيده محمد بن بركات الذي تولى إمارة مكة المكرمة بين عامي (٨٥٩- ٩٠٣هـ/ ١٤٥٥ - ١٤٩٧م).

وقد اتصفت العلاقات بين أمراء مكة المكرمة من الأشراف، والدولة المملوكية بالتذبذب وعدم الاستقرار؛ فتارة تكون العلاقات جيدة، وتارة تصبح سيئة، كما استغل سلاطين المماليك الصراع بين الأشراف؛ للتدخل في شؤونهم، وتوطيد نفوذهم في مكة المكرمة.

## الأوضاع الاقتصادية:

تقع مكة المكرمة "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وتحف بها جبال الحجاز، واشتهرت منذ القدم

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣٩-٤٠.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٥٦-٤٧١.

(٨) عن فترة حكم الأشراف في مكة المكرمة في تلك الفترة انظر مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٠ - ١٧٢.

بقلة الزراعة عدا الوديان القريبة منها التي تعد مورداً أساسياً لتموينها بحاجاتها من المحاصيل الزراعية، ومنها وادي مر[٩]، ووادي نخلة[١٠]، كما أن للطائف أثراً كبيراً في تزويد مكة المكرمة بحاجتها من الفواكه[١١]، غير أنه نتيجة للقحط الذي واجه الحجاز في فترات مختلفة من تاريخه اعتمدت مكة المكرمة على المساعدات الاقتصادية التي تأتيها من داخل الجزيرة العربية، وفي مقدمة ذلك إقليم اليمامة، ومن خارجها مثل: الشام ومصر. كما كان بين الحجاز وتلك الأقاليم مبادلات تجارية[١٢].

وتعد الحرف والصناعات من أبرز مناشط الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة، ومن تلك الحرف العطارة، والخياطة، والنجارة، والدهان، والمعمار، والبناء، وغيرها. كما أن للتجارة أهمية كبيرة في حياة مكة المكرمة الاقتصادية، حيث اعتمدت على ميناء جدة في تجارتها، وعلى ما يحمله حجاج الجزيرة العربية والأقطار الأخرى من السلع، وتتصف مكة بوجود عدد من الأسواق قريبة من المسجد الحرام، مثل: سوق البزازين، وسوق العطارين، وسوق الحبوب، وسوق الفواكه، وغيرها[١٣].

(٩) وادي مَرّ: يقع على طريق حجاج مصر والشام، وهو (مَرّ الظهران) يسمى حالياً وادي فاطمة. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص٩٥؛ ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١٣٠؛ البلادي، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٣٩٨- ١٤٠٢هـ، ج٨، ص١٠٠- ١٠٥.

(١٠) يعتقد أن المقصود به نخلة الشامية واد من أودية الحجاز، أحد رافدي مَرّ الظهران. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٩٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٥٩؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٩، ص٤٠ – ٤٣.

(١١) ابن الأصبغ، عرام السلمي (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق عبدالسلام هارون، نوادر المخطوطات، المجموعة الثامنة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٢، ص٤٥٠؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٢١٩-٢٢٤.

(١٢) ريتشاد مورتيل: مصادر التموين الغذائي لإمارة مكة، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ١٩٨٥م، ص ١٩٥- ١٩٧.

(١٣) ريتشارد مورتيل: مصادر التموين الغذائي، ص٢٠٠ – ٢٠٦.

## الأحوال الاجتماعية:

كان المجتمع المكي يتألف من فئات عدة، يأتي على رأسها:

- الأشراف: الذين يمثلون الطبقة الحاكمة، وينتهي نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويستقر قسم منهم في داخل مكة المكرمة وخارجها، وخاصة في أوديتها، ويقطن قسم ثانٍ في وادي ينبع(١٤)، وقسم ثالث يستقر في الواديين(١٥).
- القواد: وهم طبقة متميزة في المجتمع المكي وهم مجال دراستنا.
- سكان مكة المكرمة الأصليون: وهم عرب ينتمون إلى قبائل الحجاز، وعلى رأسها قبيلة قريش.
- المجاورون: وهم أجناس مختلفة قدمت إلى مكة المكرمة بقصد الحج أو طلب العلم، واستقروا بها، واندمجوا في مجتمعها، وينتمي هؤلاء إلى أقطار عدة منها: اليمن، ومصر، والشام، والهند، وفارس، والمغرب وغيرها(١٦).

---

(١٤) ينبع: موضع بين المدينة والبحر الأحمر، وهي المعروفة الآن بينبع النخل، وفيها حصن لبني الحسن بن علي، فيه نخيل وماء وزرع. ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٥، ص٤٤٩- ٤٥٠.

(١٥) الواديان: هما الشاقتان الشامية واليمانية، جنوب الليث على بعد أكثر من ٢٠٠ كم إلى الجنوب من مكة المكرمة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١٠، ص١٠٥؛ الزيلعي، أحمد بن عمر: نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٠- ٣٧.

(١٦) السباعي، أحمد: تاريخ مكة المكرمة، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص٣٢١- ٣٢٦؛ عنقاوي، عبدالله عقيل: مكة في عهد الشريف قتادة (٥٩٧-٦١٧هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ١٩٨٥م، ص ٩٦ - ٩٧؛ طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص٢٣٥- ٢٤٥؛ منى المشاري: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (رسالة ماجستير) غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص٣٣.

وكان الرجل في المجتمع المكي يلبس الثياب الفضفاضة، ويتحزم عليها، كما تلبس المرأة القنوع والبرقع، أما أكلاتهم المفضلة فتشمل اللحم والسمن والخبز[١٧]، ولهم عاداتهم الخاصة في الزواج[١٨]. وبعض المناسبات العربية مثل: الاحتفال باستهلال الأشهر العربية، والخروج إلى العمرة ليلة هلال رجب، والاحتفال في الحرم الشريف بختم بعض أبناء أعيان مكة المكرمة القرآن الكريم، وكسوة الكعبة المشرفة[١٩].

بعد هذا التمهيد فإن هذه الدراسة تتركز حول نفوذ القواد العمرة والحميضات في مكة المكرمة، وقد قسمتها إلى عدد من المحاور على النحو الآتي:

- النفوذ السياسي.
- النفوذ العسكري.
- النفوذ الاقتصادي.
- النفوذ الاجتماعي.

## أولاً: النفوذ السياسي

بداية لابد من القول: إن النفوذ السياسي لأي جماعة أو فئة أو فرد يتمثل في أوجه عدة، يأتي على رأسها ممارسة الضغوط السياسية أو الانحياز إلى طرف من أطراف الصراع السياسي أو التأثير في القرار السياسي لتلك الفئات.

---

(١٧) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٩٧- ٩٩؛ ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): تاريخ المستبصر، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥١م، ج١، ص٦.

(١٨) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٢٩- ١٢٣، ١٤٩؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص٦- ٨.

(١٩) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٥٧؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٤٨- ١٤٩.

منذ أواخر القرن السادس الهجري برز القواد بصفتهم عنصراً أساساً في موازين القوى السياسية المختلفة في مكة المكرمة، في ظل الصراع على السلطة بين الأشراف الحسنيين، وبخاصة الهواشم أمراء مكة المكرمة والشريف قتادة[٢٠] المسيطر على ينبع، وتمثل ذلك بصورة واضحة في الدعمين السياسي والعسكري اللذين قدمهما القواد للشريف قتادة الذي قدم من ينبع، ودخل في صراع مع أسرة الهواشم ممثلة في أميرها مكثر بن عيسى[٢١]، مستغلاً الظروف التي تمر بها تلك الأسرة من انهماك باللهو، وتبسط في الظلم؛ مما أثار عليها جماعة من قوادها؛ فاستمالهم قتادة لصفه؛ مما أدى إلى تحقيقه النصر على مكثر[٢٢]، وسيطرته على مكة المكرمة سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) على أرجح الأقوال[٢٣].

ولم يحدد الفاسي أو غيره فئات هؤلاء القواد أو أسماءهم، كما لم تشر المصادر إلى دور لهم طوال القرن السابع الهجري، وربما يرجع ذلك إلى أمور عدة، منها قوة شخصية الشريف قتادة، وسيطرته

(٢٠) قتادة بن إدريس الحسني، ولي أمر مكة المكرمة عشرين سنة بين عامي ٥٩٧- ٦١٧هـ. ابن فهد، عز الدين عبدالعزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص٥٥٠- ٥٧٧.

(٢١) مكثر بن عيسى، أمير مكة المكرمة بين عامي ٥٧١- ٥٩٧هـ، "وبمكثر انقضت ولاية الهواشم بمكة". عزالدين بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٣٨- ٥٤٤.

(٢٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٠؛ ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، تحقيق فهيم محمد شلتوت جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ، ج٤، تحقيق عبدالكريم علي باز، ج١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٢، ص٥٦٧؛ عزالدين بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٥٢؛ المديرس، عبدالرحمن بن مديرس، علاقات مكة الخارجية في عهد الشريف قتادة، مداولات اللقاء العلمي السنوي الثالث لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: مسقط، جامعة السلطان قابوس، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٦٦.

(٢٣) ابن عنبة، أحمد بن علي الحسني (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مجموعة الرسائل الكمالية (٨)، في الأنساب، مكتبة المعارف، الطائف، ١٤٠٠هـ، ص ٢٣٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣٩-٤٠.

التامة على السلطة خلال فترة حكمه التي امتدت بين عامي (٥٩٧ - ٦١٧هـ/ ١٢٠٠-١٢٢٠م)، ثم محاولة الأيوبيين الهيمنة على السلطة في مكة المكرمة، وما تلاه من صراع أيوبي رسولي للسيطرة على مكة المكرمة، وهيمنة أبي نمي على مقاليد الأمور في مكة المكرمة، والذي امتاز بشخصية قوية لم تمكن القواد من إبراز دورهم في الحياة السياسية خلال تلك الفترة[٢٤].

وبعد وفاة الشريف أبي نمي (٧٠١هـ/ ١٣٠١م) انقسم أبناؤه إلى جناحين هما: جناح حُميضَة ورميثة، وجناح عطيفة وأبي الغيث، وقد تولى الجناح الأول الممثل في حميضة ورميثة السلطة في مكة المكرمة وحكماها مشاركة بينهما، بحيث تمكنا من السيطرة على الأوضاع بدعم من بعض الأشراف والقواد، فيما مالت طائفة منهم إلى أخويهما عطيفة وأبي الغيث، ونلحظ أن دور القواد بدأ في البروز في ظل الصراع على السلطة، وهو سمة من سمات الضعف في الأوضاع السياسية في مكة المكرمة. وقد خسر عطيفة وأبو الغيث ذلك الصراع؛ فقبض عليهما، "وأقاما في الحبس مدة، ثم احتالا؛ فخرجا، وركبا إلى بعض الأشراف والقواد، فمنعوا منهما؛ ثم توجها إلى ينبع"[٢٥]. إلاّ أن عطيفة ما لبث أن عاد إلى مكة المكرمة سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) متولياً للسلطة بأمر من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وبعد أن استقر له الأمر كتب للسلطان المملوكي يخبره "أن القواد في طاعته، وأن حميضة نزح إلى اليمن، وفارقه بنو شعبة[٢٦] وغيرهم،

(٢٤) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٤٥٦-٤٧١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٣٤.

(٢٥) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٦٣؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٤- ٥٥؛ الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢٦) بنو شعبة: بطن من كنانة، كانت منازلهم قرب مكة المكرمة مما يلي اليمن. كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٢، ص٥٩٦؛ عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٢٤٧.

وكثر الأمن والعدل، ورخصت الأسعار"(٢٧) وفي سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) انضم بعض القواد إلى مبارك بن عطيفة أمير مكة المكرمة ضد أمير الركب العراقي، فقتله(٢٨). ومن هنا يتضح مدى تعاظم نفوذ القواد بعد وفاة أبي نمي.

غير أن المصادر لم تحدد نسبة هؤلاء القواد وأصولهم، ولعل أول إشارة إلى القواد العُمَّرة كانت على وجه التحديد في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) حينما أشار الفاسي إلى أحد أعيان القواد العمرة، ويدعى منصور بن عمر بن مسعود المكي(٢٩)، الذي لم يتضح دوره في الصراع السياسي في تلك الفترة. وفي أثناء الصراع الدائر بين الشريفين عطيفة ورميثة للسيطرة على مكة المكرمة برز قائد آخر من القواد العمرة هو محمد بن عبدالله بن عمر بن مسعود المكي، وبعد مقتله على يد الشريف مبارك بن عطيفة انضم القواد العمرة إلى الشريف رميثة(٣٠).

ونلحظ أن القائد المذكور هو ابن أخ منصور بن عمر سابق الذكر وحفيد عمر بن مسعود الذي ينسب القواد إليه، ويعرفون بذوي عمر. وقد انتقم الشريف مبارك بن عطيفة من القواد العمرة على انضمامهم لعمه الشريف رميثة بأن أرسل أخاه مسعودًا إلى وادي ساية(٣١) لقطع نخيل القواد ذوي عمر(٣٢).

(٢٧) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٦٣.

(٢٨) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج١، ص١٩٠.

(٢٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٢٨٥.

(٣٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٧٣؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٧ - ٢٠٨. وقد قتل القائد محمد بن عبدالله بن عمر حينما ذهب لاستخلاص محمد بن الزين القسطلاني من الشريف مبارك بن عطيفة.

(٣١) وادي سايه: هو واد من أودية الحجاز، كثير العيون والقرى. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤، ص١٦٠-١٦٣.

(٣٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٠٩.

ونرى صورة أخرى للنفوذ السياسي للقواد من وجودهم إلى جانب أمير مكة المكرمة وزعماء الأشراف في استقبال القيادات الإسلامية القادمة إلى مكة المكرمة بقصد أداء فريضة الحج، ومن هؤلاء على سبيل المثال السلطان الرسولي الملك المجاهد علي(٣٣) صاحب اليمن الذي قام بزيارة مكة المكرمة سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م)، وكان في خدمته الشريف ثقبة ابن صاحب مكة المكرمة الشريف رميثة بن أبي نمي، فخرج الجميع إلى يلملم(٣٤) لاستقباله، وبعد أدائه فريضة الحج غادر إلى اليمن، وكان الأشراف والقواد في خدمته طوال إقامته بمكة المكرمة إلى أن عاد إلى بلاده(٣٥). كما تمثل النفوذ السياسي للقواد في تدخلهم لوقف الصراع بين زعماء الأشراف، ومن ذلك ما حدث في سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) حينما "حصل بين الشريفين عجلان وثقبة وحشة، وكان عجلان بمكة المكرمة، وثقبة بالجديد(٣٦)، ثم خرج عجلان إلى الوادي لقتال ثقبة، فلما أن بلغ الدكناء(٣٧) وأرض خالد(٣٨) رام المسير إلى ثقبة؛ فمنعه القواد من ذلك"(٣٩).

(٣٣) المجاهد علي الرسولي سلطان الدولة الرسولية باليمن (٧٢١- ٧٦٤هـ/ ١٣٢١-١٣٦٣م). يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م): غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٤٩٤- ٥١٩.

(٣٤) يلملم: موضع على ليلتين من مكة المكرمة، وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه، ويقع حاليًا على بعد ١٠٠ كم جنوب مكة المكرمة. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٤٤١.

(٣٥) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٧٠؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٦٩ - ١٧٠، نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٢٠ - ٢٢٣.

(٣٦) الجديد: قرية في إضم بمنطقة الليث. الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الطبعة الأولى، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص٢٣٥.

(٣٧) الدكناء: من وادي مَرّ. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٥، ص٤٦٠.

(٣٨) أرض خالد: لعلها من وادي مَرّ. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٤١.

(٣٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩٦، ج٦، ص٦٢؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٤١.

وحينما اصطلح الشريفان عجلان وثقبة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) على اقتسام الإمرة بينهما اقتسما أيضاً المماليك الذين كانوا بحوزة الشريف عجلان، وعددهم خمسون، كما انقسم الأشراف والقواد في ولائهم ودعمهم للشريفين[٤٠]، بحيث اتخذ فريق منهم جانب الشريف عجلان، وفريق آخر انضم إلى أخيه ومنافسه على السلطة ثقبة.

عاد الصراع من جديد بين عجلان وثقبة، واستطاع الشريف عجلان استمالة القواد إلى جانبه؛ مما حدا بثقبة للخروج من مكة المكرمة سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)؛ لإحساسه بفقد الدعم السياسي من جانب الأشراف والقواد، غير أن الشريفين ما لبثا أن اصطلحا في أواخر ذي القعدة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)[٤١].

ثم انفرد عجلان بالإمرة بمكة المكرمة بعد وفاة أخيه ثقبة سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)[٤٢]، ودعم مركزه السياسي بأن جعل لابنه أحمد "ربع المتحصل لأمير مكة يصرفه في خاصة نفسه"[٤٣]، وكان يقصد من وراء ذلك إشراك ابنه في الإمرة بعد وفاة أخيه ثقبة، وأمر ابنه سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م) أن يقصد أخواله القواد ذوي عمر ليدعموه"[٤٤]. فنجح الابن في مسعاه؛ وبذلك قوّى الشريف عجلان من مركزه السياسي في مواجهة إخوته، وبخاصة الشريف سند الذي انتقل بعد

(٤٠) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص٣٩٧؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٦٩.

(٤١) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٧٢.

(٤٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٩١؛ الزيلعي، أحمد بن عمر، نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة (٦٤٧- ٩٢٣هـ/ ١٢٤٩- ١٥١٧م): مجلة الدارة، ع٣ س١٤ (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٦٨.

(٤٣) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٩١.

(٤٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٦٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٩٢.

هذا التطور في موازين القوى السياسية إلى وادي نخلة، ثم إلى الطائف، ثم إلى المدينة، ثم إلى ينبع[٤٥].

ولم يكن الوضع السياسي في مكة المكرمة يسير على وتيرة واحدة، بل إن القواد كانوا في بعض مراحل الصراع ينضمون لأحد الأطراف على حساب طرف آخر، فحينما تدخلت السلطة المملوكية بين الشريف عنان بن مغامس بن رميثة والشريف علي بن عجلان بن رميثة، وتمكنت من التوصل إلى اتفاق بينهما للمشاركة في السلطة بمكة المكرمة سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) اتفق الطرفان على أن يكون القواد مع عنان والأشراف مع علي، كما جُعِلَ لكل منهما نواب، واقتسما الإيرادات[٤٦]؛ وذلك لإيجاد نوع من التوازن السياسي والعسكري والاقتصادي بينهما.

غير أن الأوضاع السياسية ما لبثت أن تغيرت حينما استطاع آل عجلان سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) إفساد العلاقة بين الشريف عنان والقواد الذين كانوا إلى جانبه، ولذلك تخلوا عن نصرته حين طلب منهم ذلك[٤٧]. وقد انعكست تلك الخلافات على أعيان الأشراف والقواد الذين لم يتمكنوا من الحج في سنة (٧٩٤هـ/١٣٩٢م) نتيجة مواقف الشريف علي بن عجلان الذي اعتقل كثيرًا من أعيان الأشراف والقواد العمرة والحميضات، وطالبهم بما وهبهم من الخيل والدروع، ثم أطلق سراح أكثرهم بعد أن استجابوا لذلك[٤٨]. لكنه

(٤٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٦٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٤٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٤٣٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٧٧.

(٤٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٤٣٩؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٨٣.

(٤٨) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢١٠- ٢١١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٨٥ - ٣٨٦.

أبقى بعضهم وخاصة من الأشراف، ومنهم محمد بن سيف بن أبي نمي، وقد تمكن أحد القادة العمرة ويدعى كبيش بن سنان بن عبدالله العمري من التوسط لإطلاق سراح محمد بن سيف ومن معه؛ وهذا يدل على مدى نفوذ القواد في الحياة السياسية في مكة المكرمة خلال تلك الفترة(٤٩).

هذا يدل على مدى نفوذ القواد في الحياة السياسية في مكة المكرمة خلال تلك الفترة

كما يؤكد الدور الفاعل للقواد العمرة والحميضات ومدى نفوذهم السياسي ما حدث في سنة (٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م) حينما استولى بعض الأشراف آل أبي نمي، ويحتمل أن بينهم محمد بن سيف بن أبي نمي على جدة، وحاولوا الاستيلاء على مركب وصل إليها من مصر محملاً بالقمح والشعير والفول؛ فتدخل القواد العمرة والحميضات، وأقنعوا الشريف علي بن عجلان لإعطائهم أربعمئة غرارة(٥٠)، فلم يرضوا بذلك، فزادها مئة؛ فرحل الأشراف عن جدة(٥١)، وكان رحيل الأشراف عن جدة أمرًا طبيعيًا لكونهم دخلوا بهدف السلب والنهب. ومن هنا نلحظ الدور الحاسم للقواد العمرة والحميضات في إقناع الأشراف على الرحيل من جدة.

ولتدعيم سلطته كان شريف مكة المكرمة يقوم بزيارات لبعض المناطق القريبة من مكة المكرمة والخاضعة لنفوذه، وكان يصطحب معه في زياراته أعيان الأشراف والقواد تأكيدًا لقوته واستقرار الأوضاع السياسية لإمارته، ومن ذلك ما حدث في سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)

---

(٤٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢١١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٨٦.

(٥٠) تعادل الغرارة المكية سبع ويبات مصرية. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

(٥١) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢١٢؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٨٨ - ٣٨٩.

حينما توجه الشريف حسن بن عجلان[٥٢] أمير مكة المكرمة إلى حلي بن يعقوب[٥٣] نتيجة صراع بين قبيلة كنانة وصاحب حلي دريب بن أحمد بن عيسى. وقد صحب أمير مكة المكرمة في زيارته القواد العمرة والحميضات إضافة إلى الأشراف آل أبي نمي، ومن انضم إليهم من زُبيد[٥٤]، وكلما مر على منطقة أخذ كل من له نفوذ معه إلى حلي[٥٥].

ويبدو أن الشريف حسن بن عجلان كان يرغب من وراء اصطحابه هؤلاء تحقيق هدفين أساسيين:

١ - تأكيد قوته ومدى نفوذه وسيطرته على المنطقة.

٢ - خشيته من استغلال بعض هؤلاء القادة والزعامات انشغاله وغيابه عن مكة المكرمة للثورة ضده أو دعم أجنحة مضادة له.

وفي خضم الصراع السياسي والعسكري بين الأشراف ممثلة في أمير مكة المكرمة والمناوئين له توصل الشريف حسن بن عجلان سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م) إلى صلح بينه وبين الأشراف آل أبي نمي، وهم شميلة بن حازم وعلي بن أبي سويد وابن أخيه. فوجد القواد العمرة أن هذا الصلح لا يخدم مصالحهم إن لم يدخلهم فيه؛ فذكروا ذلك للشريف، فأخبرهم "أنه إنما صالحهم عن نفسه وجماعته"[٥٦].

(٥٢) حسن بن عجلان تولى إمارة مكة المكرمة فترتين: الأولى بين (٧٩٨ - ٨١٨هـ)، والثانية بين (٨١٩- ٨٢٩هـ). الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٨٦-١٥٦.

(٥٣) حلي بن يعقوب: مدينة على ساحل البحر جنوب مكة المكرمة بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة المكرمة ثمانية أيام. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧، ويقع موقع حلي حاليًا على بعد ٥٠ كم تقريبًا جنوبي مدينة القنفذة على ساحل البحر الأحمر.

(٥٤) زُبيد: بطن من مسروح من حرب، تسكن الساحل من جنوب جدة إلى ينبع. البلادي، عاتق بن غيث: معجم قبائل الحجاز، ط٢، دار مكة المكرمة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ، ص ١٩٢.

(٥٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٩٩؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٢٦؛ الزيلعي، أحمد بن عمر: بنو حرام حكام حلي وعلاقتهم الخارجية (ق ٤- ٩هـ/١٠-١٥م)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، م ١٥، ع١ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص١١٦.

(٥٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٩٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٢٩.

ومن مظاهر النفوذ السياسي للقواد العمرة ما حدث سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) حينما رغب الشريف حسن بن عجلان، أمير مكة المكرمة، في إخراج جابر الحراشي(٥٧) من ينبع حينما حاول إقناع صاحب اليمن تحويل السلع والبضائع إلى اليمن؛ فخرج الحراشي إلى مصر، وأخذ في شن الحملات على أمير مكة المكرمة، فقبض عليه، وصودرت أمواله، وبعث به معتقلاً إلى صاحب مكة المكرمة، وبقي بمنزله بمكة المكرمة حتى توسط له أحد القادة العمرة، ويدعى مكي بن راجح العمري لصداقة بينهما، فأجاره، وجمعه بالشريف حسن بن عجلان، فعفا عنه، وفوض إليه أمر جدة(٥٨).

غير أنه رغم النفوذ السياسي الواضح للقواد، وبخاصة العمرة والحميضات إلا أن بعض أمراء مكة المكرمة كانوا يعرضون عن وساطتهم في بعض حالات الصراع بين أمير مكة المكرمة ومعارضيه من الأشراف، ففي سنة (٨١٥هـ/١٤١٣م) ضرب الشريف أحمد بن محمد بن عجلان، مسعود الصبحي، نائب عمه أمير مكة المكرمة الشريف حسن بن عجلان على جدة، لخلاف مالي بينهما، يتعلق بمماطلة مسعود ببقية حوالة عليه، مما أدى إلى غضب الشريف حسن، وأمر بإخراج ابن أخيه أحمد من البلاد، فغضب لذلك إخوته، وخاصة الشريف رميثة، فخرجوا، واتجهوا نحو القواد العمرة الذين

(٥٧) جابر بن عبدالله الحراشي: قدم من اليمن إلى مكة المكرمة للتجارة، ودخل في خدمة الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة المكرمة؛ ففوض إليه أمر جدة، وبنى بها فرضة، ثم غضب عليه الشريف حسن، وقتله سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٤م). الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٤٠٢؛ السخاوي، محمد عبدالرحمن، (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ج٣، ص٥١.

(٥٨) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٤٠١- ٤٠٢، ج٤، ص١١٤؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٩٨؛ وفيه باسم شكر بن راجح، ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠هـ): الدر الكمين بذيل العقد الثمين، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٢٠٩- ١٢١٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٦٩.

تدخلوا للصلح بين الشريف حسن وأبناء إخوته غير أن أمير مكة المكرمة لم يستجب لتلك الوساطة، فمضوا إلى ينبع، ثم إلى مصر[٥٩].

وفي خضم التنافس السياسي والصراع العسكري بين أعيان الأشراف والقواد للاستئثار بالنفوذ في مكة المكرمة نرى أن بعض الظروف السياسية قد دعت الطرفين إلى الاتحاد في مواجهة أمير مكة المكرمة، ففي سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م)؛ ونتيجة لانضمام القواد العمرة والحميضات في العام السابق للشريف رميثة ابن أخ الشريف حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة الذي قرر حفظ القواد العمرة والحميضات، فأخذ ما معهم من الخيل والدروع[٦٠]، ويبدو أن الهدف من ذلك الرغبة في إضعاف شأنهم والحد من نفوذهم، وكرد فعل لذلك اتصل القواد بأعيان الأشراف ذوي أبي نمي وذوي عبدالكريم، وكما يشير الفاسي إلى ذلك بقوله: "فتلطف القواد بالشرفاء، وخضعوا لهم، وخوفوهم من غائلة هذا الأمر لما فيه من إضعاف الفريقين، فإن الشرفاء كانوا وافقوه على تسليم خيلهم ودروعهم إذا فعل ذلك القواد، وقصد الشرفاء بذلك إضعاف القواد، فمال الشرفاء لقول القواد -إلى أن يقول- وتحالف الفريقان على كف الأذى"[٦١]. من النص السابق يتضح مدى التوافق بين الفريقين؛ نتيجة تضررهما من الإجراءات التي اتخذها ضدهم الشريف حسن، وبهذا بات موقف أمير مكة المكرمة صعباً.

ومن جانب آخر تدخل أمير مكة المكرمة للصلح بين الأشراف والقواد غير أن هذا التدخل كان في بعض الأحيان يميل لصالح

(٥٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١١٢ - ١١٣؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٩٣ - ٤٩٤.

(٦٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ١٢٥؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٤٢.

(٦١) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٢٦؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٤٢-٥٤٣.

طرف على آخر، ففي سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م) تدخل أمير مكة المكرمة الشريف حسن بن عجلان في الصراع بين بعض القواد العمرة والأشراف حينما قتل القائد مقبل بن هبة بن أحمد بن سنان بن عبدالله بن عمر العمري الشريف جلبان بن أبي سويد بن أبي دعيج بن أبي نمي الحسني، فضربه بالسيف ليلاً وهو متوجه إلى مكة المكرمة، فاستنفر قوم جلبان، وخشي القواد أن يحدث احتكاك بينهم وبين الأشراف، وما أن وصل الشريف حسن بن عجلان من الشرق حتى توسط بين الطرفين، ومال نحو القواد العمرة، فأمر الأشراف وحلفاءهم من القواد أن لا ينزلوا بحَدًّا(٦٢) بطريق جدة، فرحلوا بعد أن صرف لهم نحو ألف وخمسمئة إفرنتى(٦٣)، ورغم توسط أمير مكة المكرمة للصلح بين الطرفين إلا أن ميله نحو القواد العُمرة عمّق الخلاف بين الطرفين المتخاصمين.

ومن مظاهر النفوذ السياسي للقواد أن الشريف حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة فشل سنة (٨٢٤هـ/١٤٢١م) في تعيين ابنه إبراهيم مشاركاً لأخيه بركات في حكم مكة المكرمة نتيجة اعتراض القواد على ذلك لأسباب اقتصادية، وذلك حينما اقترح لكل منهما ثلث الحاصل يصرفه في جماعته على ما يراه، وجعل الثلث الباقي من الحاصل

(٦٢) حدَّاء: وادٍ فيه حصن ونخل بين مكة المكرمة وجدة، يسمونه اليوم حدّة، وهي الآن من قرى الطّريق بين مكة المكرمة وجدة. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٦؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٢، ص٢٤١- ٢٤٢، حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١، ص٢٩٦.

(٦٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٣٦؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٦٥. والإفرنتي: نوع من الدنانير سكت في فلورنسا بإيطاليا ظهرت في مكة المكرمة لأول مرة أوائل القرن التاسع الهجري؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق نخبة من كبار العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج٢، ص٢٧٥- ٢٧٦؛ ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة، ص ١٩٥؛ النجيدي، حمود بن محمد بن علي: النظام النقدي المملوكي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ، ص٥٠٠- ٥٠١، ٥٠٣- ٥٠٥، ٦٢١.

لأمير مكة المكرمة يصرفه في مصالحه وخاصته، ويظهر أن هذا التوزيع قد جاء على حساب القواد الذين اعترضوا على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة(٦٤). وقد دفع هذا الاعتراض الشريف حسن إلى مغادرة مكة المكرمة مع ابنه إبراهيم تجاه اليمن(٦٥).

وقد مارس القواد العمرة نفوذاً سياسياً بين الأشراف أنفسهم فحينما قتل الشريف علي بن حسن بن عجلان خمسة من كبار قبيلة حرب سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) فر خوفاً من أخيه أمير مكة المكرمة الشريف بركات بن حسن بن عجلان إلى القواد العمرة بالعُد(٦٦)، ثم توجه إلى بني شعبة، وعندما علم الشريف بركات بما عمله أخوه لحق به غير أن القواد العمرة أخرجوه من بني شعبة، فتوجه هارباً إلى جهة اليمن، ثم اصطلح بعد ذلك مع أخيه بركات(٦٧). ويظهر أن سبب إيواء القواد العُمَّرة للشريف حسن بن عجلان يعود لخلافهم مع أمير مكة المكرمة الشريف بركات الذي هدم الدكة التي يجلسون عليها بالقرب من فرضة جدة سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)(٦٨).

كما أسهم القواد العمرة في السلطة بصورة مباشرة في مراحل من تاريخ حكم الأشراف لمكة المكرمة، فحينما زار الشريف بركات بن حسن بن عجلان سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) المدينة المنورة استخلف على مكة المكرمة نائبه بوادي الآبار(٦٩) الشريف أبا القاسم بن حسن بن عجلان وجعل معه القواد ذوي عمر كما جعل بجدة أخاه علياً، وجعل

(٦٤) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٧٩.

(٦٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٤١-١٤٢؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٧٩.

(٦٦) العُد: ماء جنوب شرق جدة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٦، ص٤٩-٥٠.

(٦٧) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١١٢- ١١٣؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤١٣.

(٦٨) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٠٢- ١٠٣؛ عزالدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤١٢.

(٦٩) وادي الآبار أو الأبيار يقع جنوب مكة المكرمة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص٢٦٧- ٢٦٨.

معه الأشراف وبعض القواد(٧٠)، وخلال غياب الشريف بركات مارس أخوه الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان تعسفاً على الرعية، وحينما قدم الشريف بركات هرب الشريف إبراهيم ناحية اليمن، وكان معه الشريف إبراهيم، وبعض جماعة من ذوي حميضة، فتبعه الشريف بركات، وتمكن من استمالة القواد الحميضات، فاصطلح معهم، فيما بقي أخوه إبراهيم منفرداً ناحية اليمن، ثم اصطلح مع أخيه، وعاد إلى مكة المكرمة بعد موسم الحج سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)(٧١).

وقد انقسم ولاء القواد العمرة للأشراف في بعض فترات تاريخ حكمهم لمكة المكرمة تبعاً لمصالحهم السياسية والاقتصادية، فنجد بعضهم مع أمير مكة المكرمة، وبعضهم الآخر مع منافسيه من الأشراف، ففي سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) حدث خلاف بين أمير مكة المكرمة الشريف أبي القاسم بن حسن بن عجلان وابنه زاهر، فأراد الشريف زاهر الانتقام، فأخذ إبلاً لوالده، ولبعض رعاياه في الركاني(٧٢)، وتوجه بها مع جماعة من القواد ذوي عمر وصبيانهم نحو بني شعبة، جنوب مكة المكرمة، وكان يهدف من ذلك إغاظة والده، فلحقهم جناح آخر من القواد العمرة، واستخلصوها منهم بثمانمئة دينار أشرفي(٧٣).

---

(٧٠) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٢٦ - ١٢٧؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤١٤.

(٧١) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٢٧؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤١٤.

(٧٢) الركاني: عين بأسفل مرّ الظهران، يمين الطريق من مكة المكرمة إلى جدة، وهي حاليًا من قرى حدّا بمنطقة مكة المكرمة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤، ص٦٧؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١، ص٥١٠.

(٧٣) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٠٧. والدينار الأشرفي ضرب في عهد السلطان المملوكي برسباي سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، وبدأ التعامل به في مكة المكرمة منذ موسم حج سنة ٨٣٤هـ. المقريزي: السلوك، ج٤، ص٧١٠؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج٤، ص٢٨٣- ٢٨٤؛ رتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة، ص ١٩٥.

وقــد تنوعت الوظائف والمناصب التي تولاها القــواد العــمــرة والحـمـيضـات وغيرهم بين نواب ووزراء ومبعوثين. ومن هؤلاء قائد يدعى قنيد بن مثقال الحسني أشير إليه بنائب البلد ووالي مكة المكرمة في سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م)(٧٤)، وخلفه في منصبه ابنه مسعود بن قنيد الحسني(٧٥).

ومن الوظائف السياسية منصب الوزارة وقد تولاه في عهد أمير مكة المكرمة، الشريف أحمد بن عجلان، القائد علي بن سنان بن عبدالله بن عمر بن مسعود العمري المتوفى سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م)(٧٦).

ومن المبعوثين القائد محمد بن عبدالكريم العمري الذي أرسله الشريف بركات إلى أمير الركب بمكة المكرمة سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)(٧٧).

وقد حدث خلاف شديد بن الشريف بركات بن حسن بن عجلان والقواد العمرة لأسباب لم تحددها المصادر، مما حدا بشريف مكة المكرمة أن يطلب من القواد العمرة أن يرحلوا عن مكة المكرمة صوب اليمن، وكانوا قد طلبوا أولاً الرحيل صوب الشام غير أن أمير مكة المكرمة رفض ذلك وقال: "إن عزمتم على الشام فأنتم مني في القنا"(٧٨)، فما كان منهم إلا أن ارتحلوا صوب اليمن سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)(٧٩). وقد بقيت من ذوي عمر بقية في مكة المكرمة حتى سنة

---

(٧٤) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٦٦. وهو مولى حسن بن عجلان توفي سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٤٢٤.

(٧٥) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٥٤٨.

(٧٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٧٥.

(٧٧) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٥٤؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤٣٦.

(٧٨) "فأنتم مني في القنا" عبارة تعني: أنكم ستكونون مني في حرب بالقنا، وهي الرماح. فهي عبارة تحذير وتهديد. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، حاشية ص٣٣٠.

(٧٩) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٣٠-٣٣١؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤٤٩.

(٨٧٣هـ/١٤٦٨م) حينما أمر الشريف محمد بن بركات أمير مكة المكرمة بالقائد محمد بن بديد بن شكر الحسني، وخاله أحمد بن منيف فقتلا بحضرته بين وادي عروة والجموم(٨٠) ونفى الشريف جماعة بديد، وذوي عمر؛ فباع ذوي عمر جميع أموالهم، وخرجوا كلهم إلى ناحية اليمن(٨١).

غير أن القواد العمرة قد استخدموا فيما بعد كورقة ضغط عسكري وسياسي من قبل القوى السياسية المناوئة لأمير مكة المكرمة وعلى رأسهم صاحب جازان؛ مما أدى إلى وقوع أحداث سنوردها في القسم الخاص بالنفوذ العسكري(٨٢).

وبعد نهاية حديثنا عن هذه الجزئية يتضح أن أمراء مكة المكرمة من الأشراف قد استعانوا بالقواد، وبخاصة العمرة والحميضات للحد من نفوذ أعيان الأشراف المنافسين لهم على السلطة، كما استعانوا بهم للتوسط في النزاع القائم بينهم وبين منافسيهم، غير أن هؤلاء القواد قاموا بأدوار أخرى أضرت بشريف مكة المكرمة نفسه.

## ثانياً: النفوذ العسكري

يمثل الدعم العسكري الذي يتلقاه أشراف مكة المكرمة أهمية أساسية في موازين القوى السياسية بين أطراف الصراع على السلطة في مكة المكرمة، ومن أبرز العناصر التي ظهرت على مسرح الأحداث في مكة المكرمة، وشكلت ثقلاً عسكرياً القواد، وعلى رأسهم القواد العمرة والحميضات. ولم يكن القواد بشكل عام والعمرة والحميضات بشكل خاص يمثلون كتلة واحدة، وإنما كانوا أجنحة عدة انضم كل منها إلى أحد أطراف الصراع السياسي من

(٨٠) الجموم: كانت عيناً متدفقة غزيرة المياه في مر الظهران، وفيها الأشراف ذوو حسين من ذوي بركات. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٢، ص١٧٦- ١٧٧.

(٨١) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٤٩١.

(٨٢) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٦١٣-٦١٤.

الأشراف والأمراء، ويمكن القول: إن هناك أسبابًا عدة وراء ذلك الانقسام:

- اختلاف المصالح بين القواد أنفسهم، ورغبة كل جناح الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية من وراء انضمامه إلى أحد الأطراف.
- إيجاد نوع من التوازن بين الأمراء والأشراف في ظل صراعهم على السلطة، وهو بذلك نوع من توزيع الأدوار بين هؤلاء القواد.

وقد حفلت تلك الفترة بمعارك وصراعات بين أمراء مكة المكرمة من الأشراف من جهة، وبينهم وبين القوى السياسية والقبلية في المنطقة من جهة أخرى، ويمكن القول: إن تلك الصراعات كان لها أثر كبير في إضعاف النفوذ السياسي لأشراف مكة المكرمة، وتعاقب كثير من الأشراف على حكمها، كما شجع السلطنة المملوكية على التدخل في شؤون الحكم في مكة المكرمة[٨٣].

وفي هذه الدراسة سأعرض بعض جوانب الصراع العسكري، ودور القواد العمرة والحميضات في ذلك الصراع، وأبرز القواد الذين قاموا بأدوار مهمة في تلك الفترة.

إن أول إشارة إلى النفوذ العسكري للقواد كان مع مجيء الشريف قتادة بن إدريس الحسني من ينبع، وسيطرته على مكة المكرمة سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)[٨٤]. وتشير المصادر إلى أن كفة الشريف قتادة قد رجحت عندما تخلت جماعة من القواد عن أمير مكة المكرمة مكثر بن عيسى نتيجة ما ذكر من "انهماك أمرائها الهواشم بني فليته على اللهو وتبسطهم في الظلم"، وقد لحظ الشريف قتادة هذا الموقف من القواد؛ فتمكن من استمالتهم، ومن هنا يتضح أن هؤلاء القواد قد

(٨٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٠.

(٨٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٠.

قدموا الدعم العسكري اللازم للشريف قتادة الذي مكنه من انتزاع مكة المكرمة من الهواشم(٨٥).

وبعد وفاة الشريف أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١م)(٨٦) انقسم أبناؤه فيمن يتولى الإمارة، ودخلوا في صراع فيما بينهم، وساندت أجنحة من القواد أبناء أبي نمي، وكان للضغط العسكري أثره في انسحاب بعضهم من مكة المكرمة ومن السلطة لصالح آخرين من الإخوة، كما كان لدعم السلطان المملوكي والقواد أثر كبير في ترجيح كفة أحدهما على الآخر، ففي سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ولى السلطان المملوكي الناصر محمد الشريف عطيفة بن أبي نمي مكان أخيه حميضة، وتلقى عطيفة دعماً عسكرياً وسياسياً من القواد الذين لم تحدد المصادر أسماءهم أو انتماءاتهم، واضطر الشريف حميضة نتيجة لذلك للنزوح ناحية اليمن(٨٧). ثم قتل الشريف حميضة في العام التالي (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) حينما حاول استعادة السلطة(٨٨). ورغم أن الشريفين رميثة وعطيفة قد اصطلحا واتفقا على المشاركة في الإمرة سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) إلا أن الصراع ما لبث أن وقع بين الأخوين ممثلاً في ابنيهما مبارك بن عطيفة، ومغامس بن رميثة اللذين تركاهما في مكة المكرمة، وغادرا إلى الواديين، فحصل بين الشريفين خلاف، فاستعد مبارك لقتال مغامس فزحف نحو الجديد في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، وساندہ أصهاره من قبيلة بني عمير(٨٩) وبعض القواد العمرة، فيما ساند قواد آخرون

(٨٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٠؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٦٦ - ٥٦٧.

(٨٦) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٤٧٠.

(٨٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٩٦؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٦٣.

(٨٨) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٢٤٣- ٢٤٥؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٦٩.

(٨٩) هم أصحاب الخيف المعروف بخيف بني عمير بوادي نخلة. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٨. وقيل: بطن من بني هذيل يسكنون وادي الزبارة، ولهم فيها قرى. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٣٥٦.

مغامس، ودخل الطرفان في صراع عسكري انتهى بانتصار الشريف مبارك، وبلغ الصراع ذروته حينما منع الشريف مبارك عمه الشريف رميثة من دخول مكة المكرمة بعد عودته من ناحية اليمن، ثم سمح له بعد ذلك بالدخول، وغادر الشريفان رميثة وعطيفة بعد ذلك مكة المكرمة إلى مصر(٩٠).

وقد حدث تحول أثناء الصراع بين الطرفين تمثل في ترك القواد - وبخاصة العمرة - الشريف عطيفة، ومالوا إلى الشريف رميثة نتيجة مقتل أحد أبرز زعاماتهم، وهو القائد محمد بن عبدالله بن عمر بن مسعود العمري على يد الشريف مبارك بن عطيفة في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، لخلاف وقع بينهما، كما انتقم من القواد العمرة نتيجة خروجهم على والده؛ فأرسل أخاه مسعوداً إلى وادي نخلة لقطع نخيلهم(٩١).

إن ما قام به الشريف مبارك يرمي لإضعاف النفوذ الاقتصادي للقواد العمرة، وبالتالي تقليص نفوذهم السياسي والعسكري، غير أن القواد العمرة لم يسكتوا على ما وقع لهم، بل انتقموا بأن هاجموا، ومعهم الشريف ثقبة بن رميثة، أخاه مسعودًا في جهة اليمن؛ فقُتِل مسعود بن عطيفة واثنا عشر رجلاً من أصحاب مبارك، ولم يكن الشريف مبارك حاضراً في تلك المعركة، وحينما سمع بمقتل أخيه ولى منهزماً مع صاحب له فلحقهما القواد العمرة فلم يتمكنا منهما(٩٢).

---

(٩٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٠١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٧ - ٢٠٨.

(٩١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٧٣، ج٧، ص١٢١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٩.

(٩٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص١٢٣؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢١٠.

ومن دلائل نفوذ القواد العسكري تدخلهم لمنع القتال بين الأشراف من الأمراء، فقد اشترك الشريفان عجلان وثقبة بن رميثة في حكم مكة المكرمة غير أن خلافاً وقع بينهما سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، وكاد يقع قتال بين الطرفين حينما خرج الشريف عجلان لقتال أخيه الشريف ثقبة بالجديد، وحينما بلغ الدكناء وأرض خالد منعه القواد من قتال أخيه وتدخلوا، وأصلحوا بين الأخوين(٩٣).

**من دلائل نفوذ القواد العسكري تدخلهم لمنع القتال بين الأشراف من الأمراء**

وفي خضم الصراع على السلطة في مكة المكرمة أصدر السلطان المملوكي الملك الظاهر برقوق(٩٤) في سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م) أمرًا بعزل الشريف عنان بن مغامس، وتولية الشريف علي بن عجلان إمرة مكة المكرمة، ووصل إلى السيد علي تقليد وخلعة؛ فامتنع الشريف عنان وأصحابه عن تسليم السلطة لعلي بن عجلان، فجمع أخوه الشريف كبيش بن عجلان جيشاً ضم عدداً كبيرًا من القواد العمرة والحميضات لمحاربة عنان وإخراجه من مكة المكرمة، وحاول الشريف كبيش دخول مكة المكرمة ومعه القواد العمرة من جهة ثنية الأذاخر، على مقربة من الأبطح(٩٥)، غير أن الشريف عنان تمكن من إلحاق الهزيمة بذلك الجيش بعد مقتل كبيش بن عجلان، وفرار آل عجلان إلى وادي مر(٩٦)، ويظهر أن هزيمة جيش كبيش نتيجة عوامل عدة:

(٩٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩٥، ج٦، ص٦١- ٦٢؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٤١.

(٩٤) ولي الملك الظاهر برقوق السلطنة المملوكية للمرة الأولى من سنة (٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢م) إلى أن عزل منها في سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م). المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٧٧، ٦٢٠.

(٩٥) مفرد أباطح، وهو وادي بمكة المكرمة (وادي إبراهيم). عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص٢٧.

(٩٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٠٧؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٦٤- ٣٦٥.

- إصرار الشريف كبيش على مبارزة الشريف عنان؛ مما أدى إلى خروج أحد أصحاب عنان ومبارزته ومقتل كبيش مما أثر في معنويات الجيش فتقهقروا.
- انحياز فئة من القواد العمرة لعنان؛ مما أضعف الموقف العسكري لكبيش.
- مقتل عدد كبير من القواد العمرة؛ مما أثر على التوازن العسكري بين الطرفين.
- مبادرة الشريف عنان بمقاتلة جيش الشريف كبيش قبل وصول بقية الجيش إلى الأبطح. وممن قتل في تلك المعركة من القواد العمرة لقاح بن منصور ونحو عشرين من عبيد الأشراف آل عجلان.

وبعد فترة من النزاع بين الشريفين عنان بن مغامس وعلي بن عجلان وصل الشريف عنان إلى مكة المكرمة قادماً من مصر عن طريق ينبع سنة (٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، وتوصل الطرفان إلى اتفاق بينهما على اقتسام إمرة مكة المكرمة وكذلك مواردها، وأن يكون القواد مع الشريف عنان، والأشراف مع الشريف علي(٩٧).

ويظهر أن النفوذ السياسي والعسكري للقواد قد وصل إلى درجة الخروج عن طاعة أمير مكة المكرمة، ومحاولة التعدي على الحجاج، واتخذ البعض من الخلافات مع أمراء ركب الحج ذريعة لذلك، ففي سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) وفي يوم التروية وقع خلاف بين بعض القواد العمرة وأمير الركب الحلبي ابن الزين، فاضطربت الأوضاع، فهاجم القواد الركب الحلبي، كما نهبوا أموالاً كثيرة للحجاج، وقتل بعضهم(٩٨).

(٩٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٠٩؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٧٧.

(٩٨) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٩٥.

ومن هنا يتضح اختلال الأمن في تلك السنة، وعدم قدرة أمراء مكة المكرمة من الأشراف على ضبط الأوضاع فيها وفي المشاعر.

ونتيجة لسوء العلاقة بين أمير مكة المكرمة الشريف حسن بن عجلان والأشراف فقد صمم على كسر شوكتهم متخذاً من تحالفه مع القواد العمرة والحميضات ركيزة أساسية في مواجهته لهم.

كان الأشراف قد اجتمعوا إلى دريب بن أحمد بن عيسى صاحب حلي، وهم في طريقهم إلى وادي مر، فحذَّرهم من صاحب مكة المكرمة، غير أنهم استهانوا به، وخرج الشريف حسن بن عجلان من مكة المكرمة للقائهم بوادي مر، والتقى الفريقان بمكان يقال له: الزبارة[٩٩] سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م)، وتعد هذه المعركة من أبرز المعارك التي جرت بين الشريف عجلان ومنافسيه من الأشراف آل أبي نمي، ويظهر أن الأشراف قد استهانوا بقوة أمير مكة المكرمة وحلفائه من القواد العمرة والحميضات، ولكي يحقق الأشراف الانتصار عمدوا إلى الانفراد بالقواد العمرة والحميضات فهاجموهم، وأجبروهم على الانسحاب من مواقعهم، وكادوا أن يهزموهم، غير أن الشريف حسن وبعض قيادات العمرة والحميضات الذين كانوا في قلب الجيش هاجموا الأشراف، وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم، وقتلوا سبعة من أبرز زعمائهم، كما قُتِل ثلاثون من أتباع الأشراف[١٠٠]. وفي محاولة للانتقام لما حل بهم في معركة الزبارة أغار الأشراف على إبل للقواد العمرة بمكان يقال له الشعيبة[١٠١]، وقتلوا القائد ودي بن أحمد بن سنان بن عمر بن مسعود العمري[١٠٢] مع غيره؛ فلحقهم القواد،

(٩٩) موقع في وادي مرّ الظهران. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤، ص١٢٨، ج١٠، ص٩٦.

(١٠٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص٤٧؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٩٩ - ٤٠١.

(١٠١) الشعيبة: وادٍ وميناء، وهو مرفأ مكة المكرمة، ومرسى سفنها قبل جدة، وما زالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٧٢-٧٤.

(١٠٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣٨٦؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٠١.

وتمكنوا من قتل بعض الأشراف، ومنهم فياض بن سويد بن أبي دعيج بن أبي نمي(١٠٣) والشريف واصل بن شميلة بن(١٠٤) أبي نمي وغيرهما(١٠٥).

وقد أدى سوء العلاقات بين أمير مكة المكرمة وبعض القواد إلى انضمام هؤلاء القواد إلى بعض المناوئين له من الأشراف؛ مما دعم مركزهم السياسي والعسكري، ففي سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، ونتيجة لغضب القواد الحميضات على الشريف حسن بن عجلان، أمير مكة المكرمة، انضموا إلى الأشراف الطامعين في أموال التجار في جدة حيث استولوا عليها وتمكن الشريف حسن من إخراجهم منها، فهربوا إلى خليص(١٠٦)، فأجارهم بعض القواد، ثم اصطلح معهم أمير مكة المكرمة بإعطائهم خمسين ألف درهم على ألا يتعرضوا للتجار(١٠٧).

من خلال ما سبق يتضح أن العلاقات بين الشريف حسن بن عجلان والقواد العمرة والحميضات من جهة والأشراف من جهة أخرى كانت متذبذبة، وتعكس تضارب المصالح السياسية والاقتصادية بين مختلف الأطراف، فلم تكن التحالفات ثابتة، بل تتغير حسب مصالح كل طرف، فتارة ينضم القواد إلى أمير مكة المكرمة ضد الأشراف، وأحياناً أخرى ينضمون للأشراف ضد شريف مكة المكرمة. ورغم ذلك فقد شكل القواد العمرة والحميضات ركيزة أساسية في مجال النفوذ العسكري في مكة المكرمة، بل امتد

(١٠٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٢١.

(١٠٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣٨٣.

(١٠٥) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٠١ - ٤٠٢.

(١٠٦) خليص: وادٍ بين مكة المكرمة والمدينة المنورة كثير الماء والزرع، فيه قرى كثيرة، وما زالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣، ص١٤٩؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١، ص٤١٤.

(١٠٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٩٠؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٠٥.

الاحتكاك العسكري إلى قوى سياسية وعسكرية أخرى كان لها نفوذ في مكة المكرمة ومنها أمير ركب الحج المصري الذي كان يمارس نفوذاً سياسياً وعسكرياً في مكة المكرمة والمشاعر أثناء موسم الحج استمده من سلطة السلطة المملوكية ونفوذها. ففي سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م) وقع قتال بين أمير الركب المصري جقمق[١٠٨] المؤيدي والقواد العمرة في المسجد الحرام؛ نتيجة منعه أحد غلمان القواد العمرة، ويدعى جراد من حمل السلاح بمكة المكرمة، وحينما رفض بادر إلى اعتقاله وسجنه مما أثار عليه القواد العمرة الذين وسطوا الشريف حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة لإطلاق سراحه غير أن وساطته لم تنجح؛ مما حدا بالقواد العمرة لاستخدام القوة العسكرية لتخليصه، فدخلوا في معركة مع أمير الركب المصري بسوق العلاّفة[١٠٩] أسفل مكة المكرمة، ورجحت كفة الركب المصري على القواد، وبعد أن قتل وجرح عدد من الفريقين توقف القتال بعد وساطة أمير مكة المكرمة الشريف حسن بن عجلان الذي أقنع القواد العمرة بالذهاب لأمير الركب المصري والاعتذار لما وقع، كما أرسل ابنه أحمد لهذا الغرض، وانتهى الأمر بإطلاق سراح الغلام[١١٠].

وكان للمصالح الاقتصادية دور مهم في الصراع السياسي على النفوذ وفي الدعم العسكري، ففي سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م) صدر أمر السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ[١١١] بعزل الشريف حسن بن

(١٠٨) سيف الدين جقمق بن عبدالله الأرغونشاوي الدوادار، ولي نيابة الشام في عهد الملك المؤيد شيخ، ومات مقتولاً في دمشق سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٤٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧٤ - ٧٥.

(١٠٩) العلاّفة: ربما يكون سوق علف الماشية. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥١٧.

(١١٠) الفاسي: العقد الثمين، ٤/١١٩-١٢٠. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥١٦ - ٥١٨.

(١١١) السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ حكم بين (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م). المقريزي: السلوك، ج٤، ص٢٤٣- ٢٤٤، ٥٤٩.

عجلان من نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية[١١٢]، وعزل ابنيه بركات وأحمد من إمرة مكة المكرمة، وأصدر مرسوماً بتولية ابن أخيه الشريف رميثة بن محمد بن عجلان هذين المنصبين، ويعود قرار السلطان المملوكي لأسباب عدة، منها:

- عدم وصول عشرة آلاف مثقال المقررة للسلطان المملوكي في كل سنة من مال القاضي كمال الدين موسى بن جميع.
- الخلاف الذي وقع بين شريف مكة المكرمة وأمير الحاج المصري في موسم حج سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م).
- العلاقة الوطيدة التي تربط الشريف رميثة بن محمد بن عجلان بالسلطنة المملوكية[١١٣].

غير أن الشريف حسن لم يقبل بقرار العزل، وصمم على استعادة سلطته؛ فطلب الدعم من الأشراف، فلم يتم له ذلك، واستغل القواد العمرة المأزق الذي وقع فيه الشريف حسن، فوعدوه بالدعم العسكري، واستدعوه إلى مكة المكرمة، وقرر الذهاب إلى الوادي[١١٤] لمحاربة ابن أخيه بدعم من القواد العمرة، غير أن القواد لم يستجيبوا لطلبه الذهاب معه إلى الوادي إلا بعد الحصول على منافع اقتصادية لم تحدد، فلم يوافق، وخرج من مكة المكرمة متجهاً نحو الشرق، ثم ذهب إلى المدينة المنورة، وعاد إلى مكة المكرمة، ومنها إلى جدة حيث استولى عليها، فهرب الشريف رميثة شمالاً[١١٥]، وفي فترة لاحقة من

(١١٢) تحولت الأقطار الحجازية إلى نيابة مملوكية سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، وأول من أطلق عَليه لقب "نائب السلطنة في الحجاز" هو الشريف حسن بن عجلان. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٠٥؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ص٧٦؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٦٢.

(١١٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١١٧، ١١٩.

(١١٤) ربما هو وادي مر.

(١١٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٢١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٢٥-٥٢٦.

سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م) تمكن الشريف حسن من إقناع السلطان المملوكي المؤيد شيخ بالعودة لإمارة مكة المكرمة بعد ما التزم له بثلاثين ألف دينار، كما انتقم من ابن أخيه رميثة والقواد العمرة والحميضات الذين تخلوا عنه بإخراجهم من مكة المكرمة في سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) بالقوة العسكرية بعد أن رفضوا الخروج بصفة سلمية. غير أنه صالح بعض القواد العمرة، واستمالهم بشرط تخليهم عن ابن أخيه رميثة. ومن هنا يتضح مدى ما تمتع به الشريف حسن من دهاء سياسي مكنه من كسب قلوب بعض القواد العمرة رغم تخليهم عنه في السابق، كما تمكن من إجبار ابن أخيه الشريف رميثة على مغادرة مكة المكرمة إلى ناحية اليمن(١١٦)، ومما سبق يتضح أهمية جدة لإمارة مكة المكرمة التي تمثل:

- بوابة مكة المكرمة الاقتصادية، حيث يتم من خلالها جلب البضائع الواردة من خارج الحجاز، عبر البحر بوصفها إحدى أهم منافذ التموين الغذائي لمكة المكرمة.
- وسيلة للضغط السياسي والعسكري والاقتصادي من قبل المعارضين لأمير مكة المكرمة، وبخاصة الأشراف والقواد.

ونتيجة للقتال السابق توفي سنان بن راجح بن محمد بن عبدالله بن عمر بن مسعود العمري سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، وهو أحد القادة البارزين من القواد العُمَّرة، وكان قد انضم للشريف رميثة ضد عمه الشريف حسن(١١٧).

(١١٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٢٢؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ص٦٦- ٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العُمر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص٩٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٣١-٥٣٤.

(١١٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٦١٧؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٠٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٢.

وفي العام التالي التقت مصالح القواد والأشراف على التحالف ضد شريف مكة المكرمة حسن بن عجلان بعد أن تصالح الطرفان، وأعطى القواد الأشراف دية قتيل شريف قتله بعض القواد في أعوام سابقة، وتمكن هذا التحالف السياسي والعسكري من الاستيلاء على جدة، كما استولوا على بعض الغلال ومنها الذرة، غير أن الشريف حسن استطاع السيطرة على جدة بعد أن أرسل ابن أخيه الشريف رميثة الذي صالحه في وقت سابق على رأس قوة عسكرية، فاستولى عليها، ورحل الأشراف والقواد إلى الدكناء، ثم استجمعوا قواهم، وزحفوا نحو مكة المكرمة، فخرج إليهم مفتاح الزفتاوي(١١٨) نائب الشريف حسن، واستطاع الأشراف والقواد الانتصار على جيش الشريف حسن في موقع يعرف بعين أبي سليمان(١١٩)، وقتل نائبه، وعدد من جنود شريف مكة المكرمة، وكان لهذا الهجوم وقعه السيئ على الشريف حسن(١٢٠). ويبدو أن التحولات في التحالفات السياسية والعسكرية لم تتوقف طوال فترة حكم الشريف حسن بن عجلان. وقد تمثلت في مرحلة لاحقة بانضمام الأشراف والقواد للشريف رميثة، واستطاع هذا التحالف الاستيلاء على جدة سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)(١٢١).

ووصلت التحالفات السياسية والعسكرية ذروتها في عهد شريف مكة المكرمة حسن بن عجلان في سنة (٨٢٥هـ/١٤٢٢م) حينما وصل الشريف مقبل بن مخبار، أمير ينبع، إلى مكة المكرمة لدعم الموقف

---

(١١٨) مفتاح الزفتاوي: نائب أمير مكة المكرمة، يلقب أمين الدين، كان من موالي الشريف أحمد بن عجلان. الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٢٦٤-٢٦٦.

(١١٩) لم أجد لها تحديدًا فيما رجعت إليه من مصادر.

(١٢٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٢٦٥-٢٦٦؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٤٣-٥٤٥.

(١٢١) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٤٢؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٧٨.

العسكري لأميرها ضد ابن أخيه الشريف رميثة والقواد العمرة الذين انضموا للشريف رميثة فيما انضم الأشراف آل أبي نمي للشريف حسن، غير أن أمير مكة المكرمة لم يكن فيما يظهر واثقاً من صدق أمير ينبع في دعمه، وبالتالي ظهرت منافرة بين الطرفين.

وتمكن الشريف رميثة وحلفاؤه من القواد العمرة من الاستيلاء على جدة انطلاقاً من وادي مر. غير أن جناحاً من القواد العُمَّرَة حاولوا إقناع الشريف حسن بدعمه عسكرياً لاستعادة جدة، إلا أن أمير مكة المكرمة لم يكن واثقاً من إخلاصهم خشية أن تكون تلك مكيدة منهم، فرفض اقتراحهم(١٢٢).

يتضح مما سبق كيف تغيرت التحالفات السياسية والعسكرية تبعاً للمصالح المتضاربة للأطراف المتصارعة، وشكلت إمارة مكة المكرمة ممثلة في أميرها الركيزة الأساسية لتلك التحالفات.

ونظراً لأهمية مكة المكرمة للدولة المملوكية فإن أي تذمر من جانب الحجاج تجاه معاملتهم من قبل شريف مكة المكرمة يؤدي إلى تحول في سياسة السلطان المملوكي الأشرف برسباي(١٢٣) تجاه أميرها، وهذا ما حدث في سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٤م) حينما اشتكى الحجاج المصريون وبعض الأتراك من الشريف حسن؛ فتغير خاطر السلطان المملوكي على الشريف حسن بن عجلان؛ فعزله، وعين مكانه الشريف علي بن عنان بن مغامس سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٤م)، وأرسله من مصر مع قوة عسكرية لضمان سيطرته على السلطة، وحينما علم الشريف حسن بذلك غادر مكة المكرمة مع أنصاره، وتوجهوا صوب اليمن. وعندها بادر الأشراف والقواد العمرة والحميضات والمولدون المنسوبون

(١٢٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٤٣؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٨٥-٥٨٦.

(١٢٣) ولي السلطنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) إلى أن توفي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٨م). المقريزي: السلوك، ج٤، ص٦٠٧، ١٠٥١.

لعجلان، وابنه لتغيير تحالفاتهم السياسية، وانضموا مع القوة العسكرية التي دخلت مكة المكرمة، وقرئ التوقيع بإمرة الشريف علي بن عنان، والأمان لمن دخل في طاعته، ومن لم يدخل فلا أمان له بعد شهر[١٢٤].

ورغم محاولة الشريف حسن وابنه بركات استعادة السلطة إلا أن محاولتهما تلك باءت بالفشل وحلت بهما الهزيمة العسكرية على يد الشريف علي بن عنان، وقتل في تلك المحاولة ولد للقائد البارز ودي العمري المتحالف مع الشريف حسن[١٢٥]. غير أن السلطان المملوكي برسباي اتضح له أن مكة المكرمة لن تستقر لعلي بن عنان بن مغامس؛ فأصدر أمراً في سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) بعزله، وتولية الشريف حسن بن عجلان، وجهزه من مصر إلى مكة المكرمة، لكنه توفي في الطريق، وطلب السلطان من ابنيه بركات وإبراهيم الحضور للقاهرة، فخرجا من مكة المكرمة، وجعلا عليها أخاهما الشريف أبو القاسم بن حسن، وحاول أنصار الشريف علي بن عنان استعادة السلطة في مكة المكرمة؛ فخرج لهم الشريف أبو القاسم ومعه القواد العمرة والحميضات وذوو عجلان وذوو حسن، ودخل معهم في قتال في خيف بني شديد[١٢٦]، وتمكن من الانتصار عليهم، وقُتِل من جيش الشريف عنان عدد كبير، بينهم عدد من الأشراف ومحمد بن رشيد نائب الشريف علي بن عنان في مكة المكرمة، وهرب من بقي منهم إلى ينبع، والتجؤوا عند الشريف عقيل بن مخبار صاحب ينبع[١٢٧].

(١٢٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٤٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٠٥.

(١٢٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٥٠؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٠٨.

(١٢٦) يقع خيف بني شديد خارج مكة المكرمة. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٣١.

(١٢٧) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٣٠ – ٦٣١.

وفي ظل الصراع على السلطة بعد وفاة الشريف حسن نرى أن بعض أبنائه يسعى للحصول على مغانم اقتصادية دعماً لنفوذه السياسي والعسكري، فقد أصدر السلطان المملوكي برسباي سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) أمراً بتعيين الشريف بركات بن حسن بن عجلان أميراً على مكة المكرمة بعد أن استدعاه وأخاه إبراهيم إلى القاهرة، وأن يدفع للسلطنة المبلغ المتفق عليه سنوياً(١٢٨)، وأن يكون أخوه السيد إبراهيم في طاعته(١٢٩). غير أن الشريفين إبراهيم وأبا القاسم بن حسن بن عجلان قد خرجا عن طاعة أخيهما؛ مما اضطره لإرسال رسول إلى السلطان المملوكي سنة (٨٣١هـ/١٤٢٨م) يطلب دعماً عسكرياً ضد أخويه(١٣٠). وحينما علما بذلك لم يدخلا مكة المكرمة خوفاً من جيش السلطان(١٣١)، وبدأ الشريف أبو القاسم بشن الغارات طمعاً في الحصول على مغانم اقتصادية، فهاجم جدة، وأخذ بعض التجار(١٣٢)، كما هاجم بعض القواد خارج مكة المكرمة(١٣٣)، واستولى على بعض أموالهم.

وفي سبيل تدعيم سلطته السياسية أرسل الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) جيشاً نحو بلاد شهران(١٣٤) بقيادة ابن عمه الشريف رميثة، ومعه بعض القواد

---

(١٢٨) طلب السلطان المملوكي الأشرف برسباي من الشريف بركات أن يدفع ما تأخر على والده، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار وعشرة آلاف دينار في كل سنة وما جرت به العادة من الضرائب على التجار في جدة. عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤٠٠.

(١٢٩) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٣٠.

(١٣٠) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٥؛ عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤٠٢ - ٤٠٤.

(١٣١) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٦. عز الدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤٩٩.

(١٣٢) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٧.

(١٣٣) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٦ - ٣٧.

(١٣٤) شهران: من أكثر قبائل عسير عدداً، وأوسعها دياراً، تمتد من بيشة حتى صبيا. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج٢، ص٦١٦ - ٦١٧.

العمرة والحميضات، غير أن هزيمة مريرة لحقت بذلك الجيش، وقتل قائده الشريف رميثة وبعض القواد العمرة والحميضات، من بينهم القائد جماز بن مقبل العمري، والقائد محمد بن جسار الحميضي، وعدد من العبيد والمولدين[(١٣٥)].

وقد مارس بعض القواد العمرة نفوذاً خارج مكة المكرمة تمثل في حماية من يلتجئ إليهم، والدفاع عنهم دون العودة لأمير مكة المكرمة، وقد أدى ذلك إلى اصطدام مع بعض القوى السياسية والعسكرية، ففي عهد الشريف بركات وقع في سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) بين القواد العمرة والترك -وهم جنود السلطنة المملوكية- نزاع بسبب جلوسهم على دكة في جدة، "فإذا استجار بهم أحد من الناس لا يمكنون منه أحداً"[(١٣٦)]، وهذا أدى إلى الاصطدام بالجنود الأتراك، وحينما علم الشريف بركات بما حدث قدم إلى جدة، وهدم الدكة التي يجلس عليها القواد[(١٣٧)].

ونتيجة للصراع على السلطة في مكة المكرمة واضطراب العلاقات بين السلطان المملوكي الظاهر جقمق[(١٣٨)]، والشريف بركات أصدر السلطان المملوكي سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) أمراً بتعيين أخيه الشريف علي بن حسن بن عجلان بدلاً منه أميراً على مكة المكرمة، وتلقى الشريف علي الذي عاد إلى مكة المكرمة من مصر دعماً من الأمير يشبك الصوفي[(١٣٩)]. غير أن الشريف بركات لم يقبل بقرار عزله، وصمم على انتزاع السلطة من أخيه بالقوة العسكرية، فقام باستمالة

---

(١٣٥) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٧٠ - ٧١.

(١٣٦) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٠٣.

(١٣٧) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٠٢ - ١٠٣.

(١٣٨) ولي السلطنة (٨٤٢ - ٨٥٧هـ/ ١٤٢٨- ١٤٥٣م). المقريزي: السلوك، ج٤، ص١٠٨٦ - ١٠٨٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٥٢ - ٤٥٣.

(١٣٩) هو يشبك المؤيدي شيخ يعرف بالصوفي جعله الظاهر جقمق أحد رؤوس النواب، ثم ولي نيابة حلب ونيابة طرابلس وأتابك دمشق، توفي سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م). السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٠.

القواد العمرة، وزحف أولاً نحو جدة سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، وسيطر عليها، وأخذ العشور من أموال التجار إلاّ أن الشريف علي بادر بالزحف مع الجنود الأتراك نحو جدة حتى يحول بين الشريف بركات والهجوم على مكة المكرمة، والتحم الفريقان في معركة كبيرة وقعت خارج جدة عرفت بمعركة الحدبة، شارك فيها الأشراف ذوو أبي نمي الذين انضموا للشريف بركات، كما شارك فيها أيضاً إلى جانب الشريف بركات بعض القواد العمرة والحميضات، وأسفرت المعركة عن انتصار جيش الشريف علي، ومقتل عدد كبير من قادة جيش الشريف بركات، وعلى رأسهم بعض القواد العمرة الذين قطعت رؤوسهم وطيف بهم في جدة تنكيلاً بهم، وتحذيراً للشريف بركات، ومن بينهم أحمد بن علي بن سنان العمري(١٤٠)، وجسار بن أحمد بن عبدالكريم العمري(١٤١)، ودبيس بن جسار بن سنان بن راجح العمري(١٤٢)، وعويد بن منصور بن راجح بن محمد بن عبدالله العمري(١٤٣)، ومقدم بن عبدالله العمري(١٤٤)، ووبير بن جويعد العمري وغيرهم من مولديهم، وجماعة من عبيد الشريف حسن وولده الشريف بركات(١٤٥). وفي أعقاب هزيمة الشريف بركات انسحب نحو العد(١٤٦) جهة اليمن(١٤٧).

(١٤٠) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨١؛ الدر الكمين، ج١، ص٤٧٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٠.

(١٤١) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨١؛ الدر الكمين، ج١، ص٦٦٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٦٧.

(١٤٢) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨١؛ الدر الكمين، ج٢، ص٧٢٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٣١٧.

(١٤٣) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨١؛ الدر الكمين، ج٢، ص١١٥٩.

(١٤٤) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨١؛ الدر الكمين، ج٢، ص١٢٠٩.

(١٤٥) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨١؛ الدر الكمين، ج٢، ص١٢٣٦؛ عزالدين بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٤٢٤.

(١٤٦) العد: ماء في الساحل جنوب شرق جدة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٦، ص٤٩-٥٠.

(١٤٧) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٧٩.

ونتيجة لفشل الشريف بركات في استعادة السلطة، ولحاجته للمال عمد إلى شن الغارات على القبائل، وإلى السلب والنهب مستعيناً في ذلك بجماعة من ذوي حميضة، ففي سنة (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) هاجم عددًا من القبائل، ومنهم: عرب مطير، وعرب من بني سعد يقال لهم: يمن، وغنم منهم إبلاً وأغناماً، وتصدى له الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان[١٤٨] بأن أرسل له القائدين مطيرق بن منصور بن راجح[١٤٩]، وسنان بن علي بن سنان[١٥٠] العمريين يحذرانه من مغبة مواصلة الغارات على القبائل، ويأمرانه برد الأموال التي سلبها منهم، ثم توصل الطرفان إلى الصلح بأن يتنازل الشريف بركات عن جزء مما سلبه فيما يدفع أبو القاسم جزءاً آخر للقبائل[١٥١].

ومن هنا يتضح أن الشريف بركات في تلك الغارات على القبائل حقق هدفين أساسيين:

- وسيلة للحصول على مكاسب اقتصادية.
- ممارسة ضغط سياسي وعسكري على أمير مكة المكرمة بإشاعة نوع من الفوضى الأمنية في البلاد تتيح له الفرصة لاستعادة سلطته في مكة المكرمة.

ولعل النفوذ العسكري للقواد العمرة والحميضات كان واضحاً في الحياة السياسية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، وانعكس أثره على موازين القوى السياسية في المنطقة بين الأمراء والأشراف.

---

(١٤٨) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٢٧- ٢٢٩.

(١٤٩) مطيرق بن منصور بن راجح: كان من أعيان القواد العمرة، مات بمكة المكرمة سنة (٨٥٦هـ/١٤٥٢م). نجم الدين بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص١١٩٩-١٢٠٠.

(١٥٠) سنان بن علي بن سنان: من القواد العمرة، مات سنة (٨٥٣هـ/١٤٤٩م) بالعد، ودفن بمكة المكرمة. نجم الدين بن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٧٦١- ٧٦٢.

(١٥١) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٢٧- ٢٣٢.

## ثالثاً: النفوذ الاقتصادي

يمثل الاقتصاد أهمية كبرى لأي مجتمع من المجتمعات، كما يعد ركيزة أساسية لأي سلطة سياسية، وفيما يتعلق بالأوضاع في مكة المكرمة في العصر المملوكي فقد شكل النشاط الاقتصادي سمة مهمة في تاريخها سواء ما يتصل بالمناشط الاقتصادية المختلفة في مكة المكرمة، أو ما يتم أثناء موسم الحج مما يرد إليها من صدقات وهبات وسلع مختلفة وغيرها.

وسأعرض في هذه الجزئية مدى النفوذ الاقتصادي للقواد العمرة والحميضات عبر محاولاتهم الحصول على مكاسب اقتصادية؛ لتدعيم نفوذهم السياسي والعسكري في مكة المكرمة أو عبر محاولة الأشراف، وبخاصة أمراء مكة المكرمة، تقليص ذلك النفوذ من خلال تقليل الدعم الاقتصادي للقواد أو مصادرة أموالهم.

فيما يتعلق بمحاولة الأشراف إضعاف النفوذ الاقتصادي للقواد العمرة قام الشريف مبارك الذي ناب عن والده الشريف عطيفة في إمارة مكة المكرمة سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٧م) بإرسال أخيه مسعود إلى الوادي لقطع نخيل القواد ذوي عمر(١٥٢)، ويظهر أن ما قام به الشريف مبارك كان عقاباً للقواد العمرة على انضمامهم إلى عمه رميثة بعد قتل مبارك للقائد محمد بن عبدالله بن عمر بن مسعود العمري(١٥٣).

وفي مجال التأثير السياسي على الجانب الاقتصادي نرى أن أمير مكة المكرمة يستعين بالقواد من أجل كبح جماح الأشراف، وإضعاف نفوذهم السياسي والعسكري خاصة إذا كان لهؤلاء الأشراف مطامع

(١٥٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص١٢١؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٩.

(١٥٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٧٣. نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٨- ٢٠٩.

اقتصادية، ففي سنة (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) حصل خلاف بين أمير مكة المكرمة الشريف علي بن عجلان والأشراف سجن على أثره بعض قادتهم، ثم أطلق سراحهم، فاتجهوا نحو بحرة بين مكة المكرمة وجدة، ثم نحو جدة واستولوا عليها، وحاولوا الاستيلاء على مركب وصل من مصر محمل بالقمح والشعير والفول مرسل من السلطان المملوكي، ويبدو أنه كان سيوزع على أهل مكة المكرمة والحجاج؛ فرغب الأشراف في الاستيلاء عليه وحاول الشريف التوجه لقتالهم فمنعه القواد الحميضات، وأقنعوه بأن يدفع لهم أربعمئة غرارة قمح من المركب على أن يرحلوا من جدة، فوافق على ذلك الاقتراح غير أنهم بعد أن تسلموا تلك الحبوب امتنعوا عن الرحيل(١٥٤)؛ طمعاً على ما يبدو في المزيد.

ونتيجة للتحالفات السياسية والعسكرية بين أمير مكة المكرمة والقواد حصل هؤلاء القواد وعلى رأسهم العمرة والحميضات على مقررات سنوية نقدية وعينية نظير ولائهم وطاعتهم له، غير أن تلك الأموال كانت تحجب في بعض الفترات نتيجة للظروف السياسية، ومنها الصراع على السلطة بين أشراف مكة المكرمة، كما حدث سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) حينما "خرج كثير من القواد والأشراف عن طاعة الشريف حسن، وانضموا إلى ابن أخيه الشريف رميثة، واستولوا على جدة"(١٥٥)، وقد أدى ذلك إلى غضب أمير مكة المكرمة، فانتهز فرصة وفاة السلطان المملوكي المؤيد شيخ، فقرر أن ينزل عن الإمرة لابنيه الشريفين بركات وإبراهيم، ويخصص لكل منهما ثلث الحاصل، والثلث الباقي للشريف حسن مع إبطال الرسوم المقررة للأشراف والقواد في كل سنة؛ مما أثار القواد؛ فاعترضوا على ذلك القرار، فلم ينفذ(١٥٦).

(١٥٤) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٨٨ - ٣٨٩.

(١٥٥) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٧٨.

(١٥٦) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٧٨ - ٥٧٩.

وقد أسهم بعض القواد الذين تمتعوا بمكانة اقتصادية في النشاط المالي والاجتماعي الخيري من خلال بعض الوقفيات، ومن هؤلاء أحمد بن سنان بن راجح بن محمد بن عبدالله بن عمر بن مسعود العمري كان من أعيان القواد العمرة وصف بأنه صاحب مروءة وثروة من نقد وعقار ومسالفة، أنشأ سبيلاً بدار له في المعلاة، فأوقف الدار عليه رغبة في استمرار السبيل بعد وفاته، وقتل في وقعة الحدبة خارج جدة سنة (٨٤٦هـ /١٤٤٢م)(١٥٧)، ومن هؤلاء أيضاً القائد بطيح بن أحمد بن عبدالكريم النصيح العمري الذي وصف بأنه ذو ثروة، ويقرض الناس، توفي بجدة سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) ودفن بمكة المكرمة(١٥٨).

أسهم بعض القواد في النشاط المالي والاجتماعي الخيري من خلال بعض الوقفيات

وظهر من القواد العمرة من تمتع بمكانة اقتصادية أهلته لمكانة اجتماعية رفيعة، ومن هؤلاء تبل بن منصور بن راجح بن محمد بن عبدالله بن عمر بن مسعود العمري المكي القائد(١٥٩).

ومن هنا يظهر مدى دور العامل الاقتصادي في التأثير على العاملين السياسي والعسكري في ظل الصراع على السلطة بين أشراف مكة المكرمة، ومحاولة القواد التدخل من خلال نفوذهم الاقتصادي أو الضغط للحصول على الميزات الاقتصادية لترجيح كفة على أخرى.

(١٥٧) نجم الدين بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٤٧٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٠.

(١٥٨) نجم الدين بن فهد: الدر الثمين، ج١، ص٦٥٧؛ إتحاف الورى، ج٤، ص٣٠٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٧؛ السخاوي، محمد عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د. ت)، ص ٣٥٧.

(١٥٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٩٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧.

## رابعاً: النفوذ الاجتماعي

رغم أن القواد في معظمهم هم موال للأشراف، وعلى رأس هؤلاء القواد العمرة والحميضات إلا أنهم تمتعوا بمكانة اجتماعية رفيعة في المجتمع المكي وخارجه، ويمكن القول: إن مكانتهم الاجتماعية قد استمدوها من عاملين أساسيين:

- قربهم من أمراء مكة المكرمة والأشراف.
- نفوذهم السياسي والعسكري.

ومن أبرز جوانب النفوذ الاجتماعي المصاهرات، ويلحظ أن القواد العمرة رغم كونهم موالي للأشراف قد ارتبطوا بصلة مصاهرة مع أمراء مكة المكرمة وغيرهم من الأشراف، وهذا أدى لتقوية مركزهم السياسي، فقد صاهر أمير مكة المكرمة الشريف عجلان بن رميثة القواد العمرة، وأنجب من تلك المصاهرة ابنه الشريف أحمد، وأصبح لأخواله دور سياسي مهم. نرى ذلك واضحاً حينما توفي الشريف عقبة بن رميثة سنة (٧٦٢هـ/١٣٦١م)، وخلفه في منصب الإمارة أخوه الشريف عجلان منفرداً، ثم سعى لإشراك ابنه أحمد في الإمرة، فطلب منه أن يقصد أخواله القواد ذوي عمر لنصرته(١٦٠)، وكان من بينهم خاله جماز بن صبيحة المتوفى سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)(١٦١).

وعمد القواد العمرة إلى مصاهرة بعض أعيان مكة المكرمة، فقد أشار نجم الدين بن فهد إلى مقتل المقرئ المؤدب سلمان بن حامد بن غازي بين يحيى بن منصور العامري الغزي سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، واتهم في ذلك بعض أصحاب حسب الله بن راشد أحد أعيان مكة المكرمة، وكان السيد سلمان قد شكا إلى الشريف حسن، حسب الله بن راشد الذي اختفى بعد مقتل المؤدب لمدة سنتين مع كونه صهراً

(١٦٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٦٨؛ نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٩١.

(١٦١) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٤٤١.

لبعض أعيان القواد العمرة[١٦٢]، وأمر الشريف حسن بن عجلان بهدم بيته عقاباً له[١٦٣].

وفي مرحلة لاحقة صاهر أمير مكة المكرمة الشريف بركات بن حسن بن عجلان أحد القواد العمرة، ويدعى أحمد بن وبير العمري بزواجه من ابنته حجلة (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) التي أنجبت له ابنه رميثة[١٦٤]. ووصلت المصاهرات بين الأشراف والقواد العمرة ذروتها بأن أصبح بعض القواد العمرة أخوة للأشراف من جهة الأم، ومن هؤلاء علي بن جسار بن عمر بن مسعود العمري المكي (ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) أخٌ لأمير مكة المكرمة الشريف أحمد بن عجلان من جهة الأم، وقد كان من أعيان القواد العمرة ومن أغنيائهم، اشتهر بالعقل والوفاء[١٦٥].

وشملت تلك المكانة الاجتماعية القواد الحميضات، ومن هؤلاء محمد بن كحل العزي المكي الملقب بالجمال، كان أبوه من موالي السيد عز الدين حميضة بن أبي نمي، وكان يتمتع بمكانة اجتماعية رفيعة، "وله علاقات واسعة بأعيان الأشراف، وكان مقبول الشهادة عند الحكام وغيرهم"[١٦٦].

كما أسهم بعض القواد العمرة في أوجه النشاط الاجتماعي؛ فأنشؤوا بعض المنشآت الاجتماعية، ومن هؤلاء القائد أحمد بن علي بن سنان العمري (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م) الذي سبقت الإشارة إليه حيث أنشأ سبيلاً بدار له بالمعلاة، بالقرب من مسجد الراية بمكة المكرمة، وأوقف الدار عليه[١٦٧].

(١٦٢) نجم الدين بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص, ٤٤٩.

(١٦٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٠٢- ١٠٣.

(١٦٤) ابن فهد، عز الدين عبدالعزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ/ ١٣٣١م): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، حقق في ٣ رسائل جامعية (ماجستير) كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢١- ١٤٢٢هـ، القسم الثاني، المجلد الأول، ص ٤٦٠.

(١٦٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٤٨- ١٤٩.

(١٦٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٦٦.

(١٦٧) نجم الدين بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص٤٧٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٠.

## الخاتمة:

من خلال الدراسة السابقة يتضح مدى النفوذ الذي تمتع به القواد عامة والقواد العمرة والحميضات خاصة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ودورهم العسكري، ويمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة فيما يأتي:

١ - مثل النفوذ السياسي للقواد العمرة والحميضات العنصر الأساسي في نفوذ هؤلاء القواد بما تمتعوا به من قدرة على التدخل في الصراع السياسي بين أشراف مكة المكرمة للسيطرة على السلطة، ونلحظ أن هؤلاء القواد لم يكونوا كتلة سياسية وعسكرية واحدة، بل انقسموا في ولائهم بين الأمراء من الأشراف؛ مما يدل على غلبة المصالح السياسية والاقتصادية في ولاء كل فئة منهم في دعم الأجنحة المتصارعة من الأشراف، وربما يكون ذلك نوعاً من توزيع الأدوار فيما بينهم؛ حتى يتمكنوا من كسب رضا الجميع والاحتفاظ بنفوذهم داخل البنية السياسية للسلطة.

٢ - شكل النفوذ العسكري الوجه الآخر للصراع بين الأشراف، وتمثل النفوذ العسكري بالدعم الذي قدمه القواد العمرة والحميضات لأطراف الصراع، وقد استمدوا هذا النفوذ من قربهم من السلطة، وما حازوه من أموال وأتباع وموالٍ وعبيد وأسلحة؛ مما أهلهم للتدخل في الصراع العسكري، وشاركوا في كثير من المعارك التي خاضها الأشراف فيما بينهم مثل معركتي الزبارة، والحدبة، وقد قتل في تلك المعارك عدد كبير من القواد.

وقد انعكس هذا النفوذ العسكري للقواد على النفوذ السياسي، فمن خلال انتصار الجناح الذي يدعمه طرف من القواد يتعزز الدور السياسي لذلك الطرف.

٣ - في مـجـال النشــاط الاقـتـصــادي انعكس تعـاظم نفـوذ القــواد السياسي وقوتهم العسكرية على نفوذهم الاقتصادي، فأسهموا في بعض مناشط الحياة الاقتصادية خاصة في المجالين الزراعي والتجاري؛ فامتلكوا المزارع في الأودية المحيطة بمكة المكرمة، كما حازوا الثروات والعقارات.

٤ - يشكل الجانب الاجتماعي أهمية أساسية في علاقات القواد مع شـرائح المجـتـمع المكي؛ مما انعكس بصـورة واضـحـة على دورهم في الحيـاة الاجتمـاعيـة. ونلحظ ارتبـاط القـواد وبخـاصة العمـرة بعلاقات مصاهرة مع أشراف مكة المكرمة؛ مما أكسبهم نفوذاً سيـاسيـاً واقتصـاديـاً متزايداً. كمـا أدى ذلك إلى تدخلهم بصورة مباشـرة في دعم تعيين بعض الأشـراف على إمـارة مكة المكرمة أو عـزلهم عنهـا، كـمـا أسـهم بعـضـهم في دعم المشـاريع الخـيـرية فأنشؤوا الأسبلة، وأوقفوا أوقافاً عدة للصرف عليها؛ مما انعكس بصورة إيجابية على النشاط الاقتصادي في مكة المكرمة.

# الملاحق

## ملحق رقم (١)

### مشجر نسب أسرة القواد العمرة (ذوي عمر)

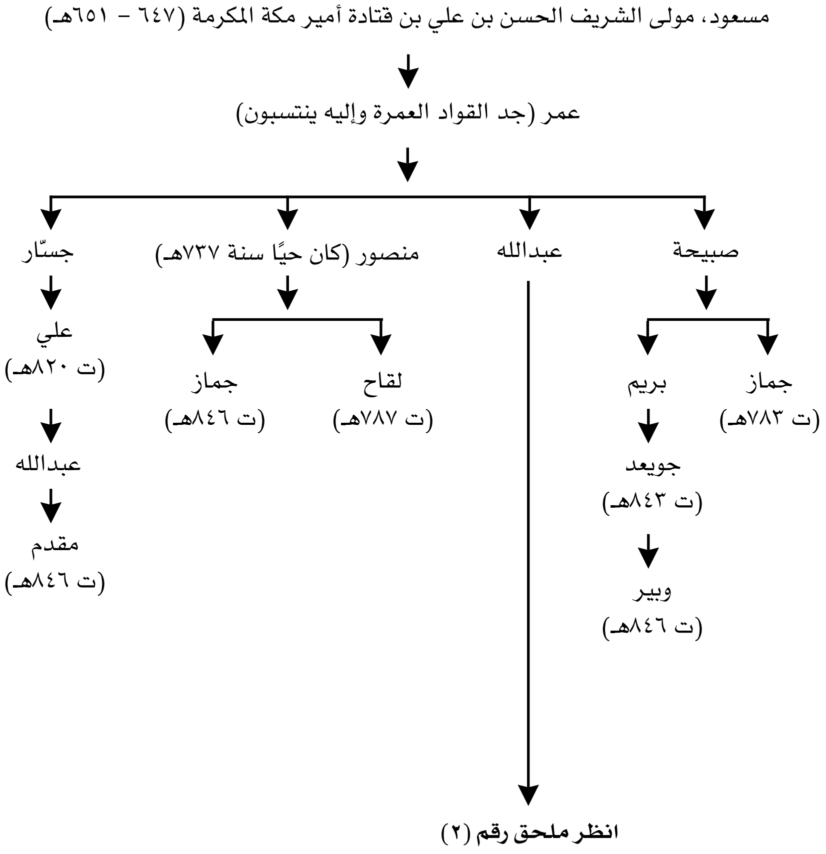

## ملحق رقم (٢)

### مشجر نسب أبناء عبدالله بن عمر بن مسعود

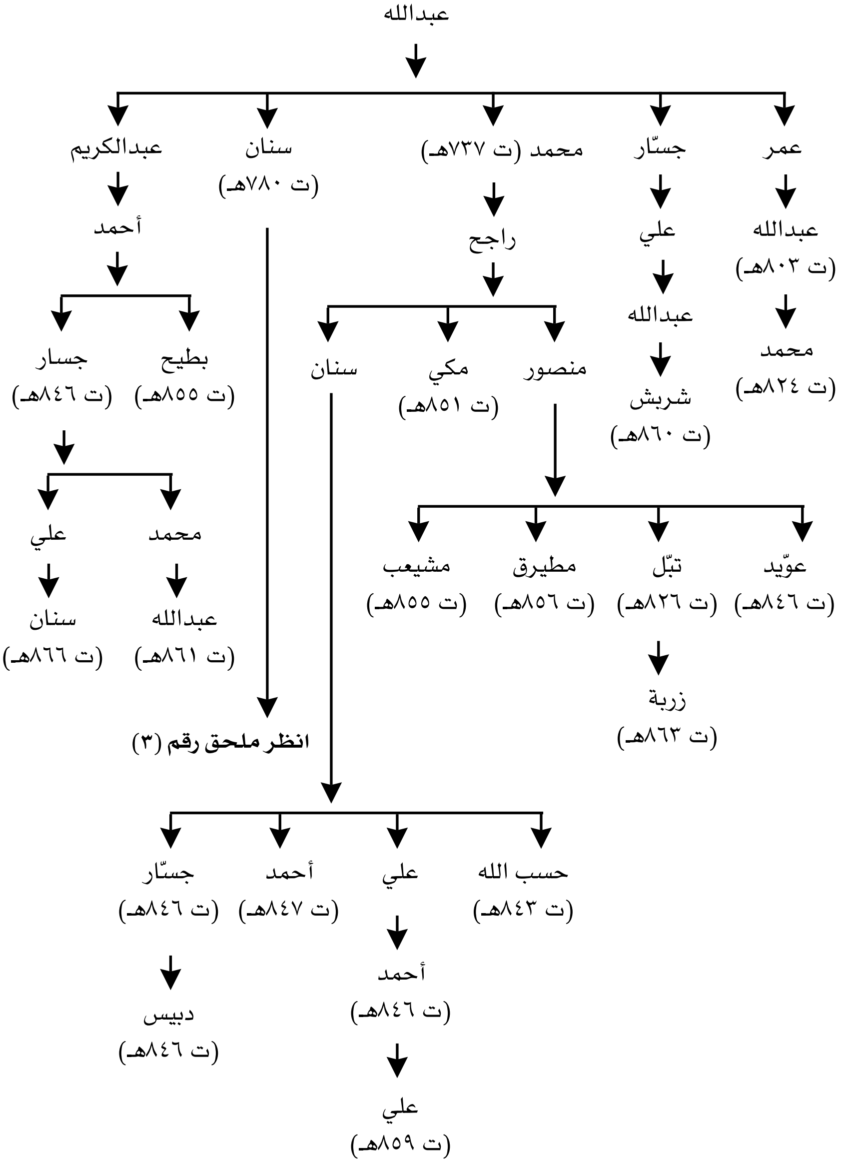

## ملحق رقم (٣)
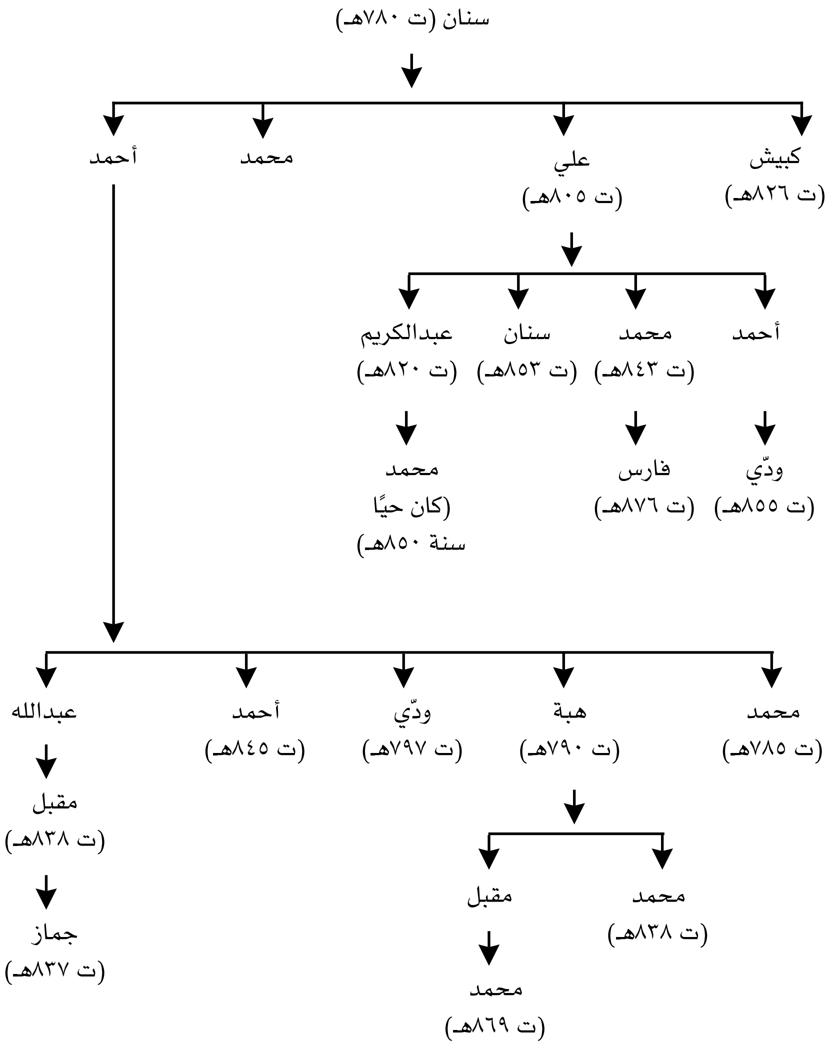
## مشجر نسب أبناء سنان بن عبدالله بن عمر بن مسعود